بيان الشرك ووسائله عند علماء المالكية

تأليف

د. محمد بن عبد الرحمن الخميس

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com



دار الوطن للنشر

المقدمة

إن الحمد لله نحمـــــــده ونســـــــتعينه ونسـتغفره، ونعـوذ بالله تعـالى من شـرور أنفسنا وسـيئات أعمالنـا. من يهـده الله فلا مضل له ومن يضـلل فلا هـادي لـه، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له وأشـهد أن محمدًا عبده ورسله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَـقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُـوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْـلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران الآية 102].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُـــــــوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِــدَةٍ وَخَلَــقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَـالًا كَثِـيرًا وَنِسَـاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَـامَ إِنَّ اللَّهَ كَـانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [ســورة النســاء الآية 1].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُـــوا اتَّقُـــوا اللَّهَ وَقُولُــوا قَــوْلًا سَــدِيدًا * يُصْــلِحْ لَكُمْ أَعْمَــالَكُمْ وَيَغْفِــرْ لَكُمْ ذُنُــوبَكُمْ وَمَنْ يُطِـعِ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب الآيتان 70، 71].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة،وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فمنذ أن أشرقت أنوار الحق ببعثة النبي ﷺ، وأذن الله تعالى باكتمال الدين الحق، ساء ذلك أعداء الله على اختلاف نحلهم، فاليهود الذين كانوا يرقبون بعثته ﷺ، كفروا به وأنكروا نبوته وناوؤه، والفرس والروم رأوا في دعوته تهديدًا لسلطانهم الظالم، فناصبوه العداء، ومن بعد ذلك جحافل التتر الجرارة التي اكتسحت رقعة واسعة من بلاد الإسلام، ثم الحملات المتكررة للصليبيين الحاقدين على بلاد الإسلام، والتي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا بصور متنوعة، كل هؤلاء وغيرهم حاربوا دين الله عز وجل وما زالوا، وقد لجأوا إلى أساليب خبيثة في ذلك الصراع منها تظاهر بعضهم بالدخول في الإسلام حتى يكيد له من داخله، وهؤلاء شر الأصناف وضررهم أعظم الأضرار،ومن هؤلاء الذين زينوا

لجهال هذه الأمة الشرك من جديد في ثوب التعظيم للمقبـورين من الصـالحين، كما هو واقع مشـــهور عند كثـــير من المنتســـبين للتصـــوف، وعبـــاد القبـــور من الجهـــال الموجـــودين في معظم أقطـــار الإســـلام، فهؤلاء قد بدلوا دين الله تعالى، وأحيـوا ميتًا من الشـــرك، وبعثـــوه من جديد ينخر في جسد الأمة مبعـــــــدًا لها عن دين الله عز وجـــل، وقد حســـنوا ذلك للعـــوام بوســـائل متعددة كبناء القباب على القبـور وتزويقهـا، وإيقاد السرج وغير ذلك، وجعلـوا لها سـدنة هم في حقيقة أمرهم كهنة للأوثان، يغـــرون النـــاس بـــدعائها وطلب الحـــوائج منهـــا، واخـــترعوا الحكايـــات العجيبة الـــتي تـــبين قـــدرتهم المزعومـــة، وإمكانـــاتهم الخارقـــة، فـــأغروا النـــاس بـــذلك، وألفـــوا لهم الكتب ودبجوا لهم القصائد، ووضـعوا لهم أحـاديث مختلفـــة، كل ذلك لإغـــرائهم وتـــزيين الكفر لهم قبحهم الله تعالى.

ثم إن هـــذا الـــداء قد استشـــرى وعم معظم أقصـــار الإســـلام إلا ما نـــدر، ولم ينج ذلك القليل إلا بفضل الله تعالى، ثم بجهـــود

الصــالحين من العلمــاء العــاملين وغــيرهم ممن حفظ الله بهم الدين، وأتم بهم المنــة، غير أن عامة البلدان قد فتك بها هــذا الــداء الوبيل فتكًا ذريعًا حــــــــتى أفضى الأمر بــالكثيرين منهم إلى الوقــوع في الشــرك الصريح الناقل عن الملــة، فطلبـوا الحـوائج من غـير اللـه، ولجـأوا إليه في جلب النفـع، ودفع الضـــر،وتجـــاوز الأمر ذلك حـــتى بلغ ببعضهم إلى درجة تعظيم شـجرة أو حجــر، وعـــــــــادوا كما كـــــــــان أهل الجاهلية الأولى،وشـــدت الرحـــال إلى الأضـــرحة، واكتظت خزائنها بـــالأموال،وكـــثر عنـــدها الاختلاط، وضـــجوا بالصـــريح يســـتغيثون بالمقبورين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم إن بعض مـــــدعي العلم قد زين لهم مثل هذه الشركيات وحسنها لهم وشـجعهم عليها مما شـــجع العامة على الوقـــوع فيها انخـــداعًا بأدعيـــاء العلم هـــؤلاء، حـــتى لقد انقسم المنتســـبون إلى العلم بـــإزاء تلك الشركيات ثلاثة أقسام:

الأول: مؤيد لتلك الشـــريكات مشـــجع عليهــا، داع إليهــا،مؤلف في نصــرة مذهبه لذلك: ولا سـيما إن كـانت لهم منـافع مادية من وراء ذلك.

الثاني:عالم بضـلال هـؤلاء ، وبطلان ما هم عليه، لكنه كـاتم للحق جبنًـا، أو رغبة أو رهبة أو غير ذلك فإنا لله وإنا إليه راجعون.

الثالث: عالم بالحق، صادع به، قائم في محاربة هــذه البــدع الشــركية والخرافــات العقدية يدعو النــاس إلى التوحيد الصــافي، وإلى ما كان عليه رسـول الله ، وأصـحابه وتـابعوهم، لا يخـاف في الله لومة لائم، ولا يرجو إلا وجه الله عز وجل.

وهم قلة رغم اختلاف مـــــــذاهبهم في الفروع حتى ظهر من كل المــذاهب الأربعة من نصر الــدين وحــذر من الشــرك ودعا الناس إلى التوحيد.

وقد قــدمنا طرفًا من كتــاب مســتقل، يوضح طرفًا من جهود بعض علمــاء الحنفية في التحذير من الشرك ووســائله، وها نحن نقدم اليوم بعضًا من جهـود علمـاء المالكية في هــذا المضــمار، ثم نتبعه إن شــاء الله

تعالى ببيان جهود علمـاء الشـافعية حسـبما ييسر الله - تعـــالى - ما كـــان في الوسع المزيد.

المالكية هم المنتســبون في الفــروع إلى إمام المدينة مالك بن أنس رحمه الله.

وهـــــــو:مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني الحمـيري، إمـام دار الهجرة، أحد رؤساء المتقين وكبير المثبـتين[1]، وأحد الأئمة الأربعة المتبـــــــــوعين المشهورين، مولده ونشـأته ووفاته بالمدينة النبويـــة، وكـــان رحمه الله صـــلب الـــدين، متباعـــدًا عن الـــولاة والســـلاطين،صـــداعًا بـــالحق لا يخـــاف في الله لومة لائم، وكـــان جامعًا بين الفقه العميق والنظر الثـــــــاقب والدراية التامة بحـديث النـبي مهيبًا عالمًا ثبتًـــــــا، «وقد اعتد في مذهبه بعمل أهل المدينة حيث اعتبر أنهم متمسكون بما رأوا عليه آباءهم وأجدادهم الذين صـحبوا النــبي ، وعـاينوا أحواله وقلـدوه في أمـور دينـه،

[1] (?) تقريب التهذيب (2/223/859).

فاعتــدل كــذلك بما هم عليه من أمــور الدين»[1].

وقد انتشر مذهبه في كثــير من أقطــار أفريقيا والأنـدلس وغـرب إفريقيـا،وما زال المــذهب الرســمي في عــدد من أقطــار الإسـلام حـتى يومنا هـذا، وقد تـوفي رحمه الله بالمدينة ســنة 179 هـــ بعد أن بــذل معظم ســني حياته لخدمة الــدين، بفروعه المتعددة رحمه الله وأجزل مثوبته [2].

وقد قســـمت الموضـــوع إلى أربعة مباحث:

الأول: تعريف الشرك عند بعض علمــاء المالكية.

الثــاني: أنــواع الشــرك عند علمــاء المالكية.

الثالث: وسائل الشرك الـتي حـذر منها علماء المالكية لحماية جناب التوحيد.

---

1 (?) انظر مقدمة ابن خلدون ص (447) دار إحياء التراث العربي.

2 (?) لترجمته انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (8/43: 121) تهذيب التهذيب لابن حجر (10/5: 9)،طبقات الحفاظ للسيوطي (ص 95: 96).

الرابع:نماذج من الشرك التي حذر منها علماء المالكية.

والله أسـأل أن ينفع بهـذا الكتـاب وأن يجعله خالصًـا لوجهه الكـريم، ويتقبله مـني وهو حسـبنا ونعم الوكيـل،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول
تعريف الشرك عند بعض علماء المالكية

قال القاضي عياض: في مشارق الأنوار مادة (ش ر ك): ذكر الشـركة بفتح الشـين وكسر الــراء،والشــرك في الــبيع وغــيره معلوم، وقوله فيه شـرك بكسر الشـين من الاشـتراك والشـرك والشـركة والاشـتراك واحد، والشرك أيضًا النصيب، والشرك أيضًا الشـــــريك قاله الأزهـــــري في تفســـــير: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَـاءِ**﴾ فأشـركته في ماله كـــذا لهم، يقـــال:شـــركته وأشـــركه وأشركته وأشركه. اهـ [1].

وقـــال ابن عاشـــور: في بيـــان معـــنى الشرك اصطلاحًا:«إشراك غـير الله مع الله في اعتقاد الإلهية وفي العبادة»[2].

وقال ابن عطية: «الذين كفـروا في هـذا الموضع هم كل من عبد شـــيئًا ســـوى الله قال قتادة: هم أهل الشرك خاصة»[3].

---

1 (?) مشارق الأنوار (2/248).
2 (?) التحرير والتنوير 7/332.
3 (?) المحرر الوجيز 6/3.

قـال الميلي المـالكي: «وكما لا تقتضي الشـــركة لغة تســاوي الشـــركاء في الحصص،لا يقتضي الشـرك شـرعًا مسـاواة الشـريك لله في جميع صـفاته أو في صـفة منها بل يمسى المرء مشـركًا، عند الشـارع بإثباته شريكًا لله ولو جعله دونه في القدرة والعلم مثلاً، فأما حكايته تعـــــالى عن المشـــركين قولـــه: ﴿**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَـــلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَـــوِّيكُمْ بِــرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [1]. فالتسوية قولهم فيه تسـوية في الطاعة والانقيـاد، لا في القـــدرة على الخلق والإيجـــاد، فهي كآية البقـــرة: ﴿**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ .

إن الله جل وعلا، لا يقبل أن يشـــرك به الأبرار ولا الفجار، ولا الأشجار، ولا الأحجـار، ولا يرضى شــــركة عظيم في القــــدرة والمنزلـــة، كمن أنعم عليهم، من النبـــيين والصديقين والشهداء والصالحين، ولا شركة عظيم في الخلق والحجم، كالشـــــمس والقمر،وسائر الكواكب،وقد رد القـرآن كل شر، كيفما كان اعتباره من القوة والضعف.

---

1 (?) سورة الشعراء: الآيتان: 97، 98.

قال تعالى: ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آَتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾، ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾، ﴿**وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾، ﴿**وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾، هذا بياننا للشرك الشرعي، فإن كان فيه طول فإنا نقصد فيما نبسط إفهام العامة وإفحام المعاندين»[1].

ولقد عرف الإمام مالك الطاغوت بأنه: «كل ما عبد من دون الله»[2].

والطاغوت هو كل ما طغا وتجاوز الحد، ونعلم أن الإسلام لا يصح للعبد إلا بأن يكفر بالطاغوت أولاً، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ**

---

1 (?) رسالة الشرك ص (64-65).

2 (?) فتح المجيد ص 566.

لَهَا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُـولًا أَنِ اُعْبُـدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّاغُوتَ**﴾[2]، فلا بد للمسـلم أن يكفر أولاً بكل طـاغوت معبـود من دون اللـه، أو مطاع في معصية الله أو متحـاكمٍ إليه دون حكم الله، أو معظم دون اللـه، فهـذا الكفر بالطـاغوت ينبغي تحقيقه قبل الإيمـان بالله تعـالى إذ محـال أن يجتمع إيمـان بالله وبالطاغوت في قلب إنسان.

بل إن هذه الطواغيت تـأتي يـوم القيامة فتتـبرأ من عبادها الـذين عبـدوها من دون الله كما قـال تعـالى: ﴿**إِذْ تَبَـرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَـذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ**﴾[3].

فالواجب على المسلم الكفر بالطـاغوت والبراءة من أهله ومعاداتهم وبغضـهم حـتى يرجعوا إلى الله تعالى ويتوبوا إليه بالإسلام، كما قـال تعـالى على لسـان إبـراهيم عليه السـلام إذ قـال لأبيه وقومـه: ﴿**إِنَّا بُـرَآءُ**

1 (?) سورة البقرة، الآية: 256.
2 (?) سورة النحل، الآية: 36.
3 (?) سورة البقرة، الآية: 166.

مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُـــــــدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَـدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَـدَاوَةُ وَالْبَغْضَـــاءُ أَبَـــدًا حَتَّى تُؤْمِنُـــوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[1].

فمن خلال كلام الإمـــام مالك رحمه الله يتضح أن الطاغوت عنده يشـمل كل ما عبد من دون الله فـالهوى طـاغوت،والشـيطان طاغوت، والشجر المعبود طاغوت، والحجر طاغوت والحاكم المبدل طاغوت، ومن أمر النــاس بطاعته في معصــية الله طــاغوت، وهكــذا كل ما عبد من دون اللـــه، غـــير أن مالكًا رحمه الله قيـدها في بعض الروايــات فقال، (وهو راض) حتى لا تشمل من عبدوا دون رضــاهم: كالمســيح، وأمــه، والعزير ، وغيرهم عليهم السلام.

---

[1] (?) سورة الممتحنة، الآية: 4.

المبحث الثاني
أقسام الشرك عند بعض المالكية

والشـــــــــــــــرك هو ضد التوحيد كما سـلف،فـالواجب على المسـلم أن يعـرف الشـرك بأنواعه الأكـبر والأصـغر، الظـاهر والخفي، حتى يتجنبها كلها فيسـلم له دينـه، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة هذه الأنـواع والحـذر منها ومن منافـذها ومـداخلها، وسد الطـرق الموصلة إليها.

قال الإمام الحافظ ابن العربي المالكي: الشـــرك على أقســـام، ويعـــود ذلك إلى قســـمين:قسم في الاعتقـــاد، وقسم في العمل، فـإن كـان الشـرك في الاعتقـاد [1]،

---

[1] (?) كاعتقاد وجود إله مكافئ لله تعالى، أو اعتقاد ربوبية غيره، أو اعتقاد شبيه له في أسمائه وصفاته , وأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتصرف والتدبير واستحقاق العبادة وغير ذلك والأدلة أكثر من أن تحصى كقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [سورة الشورى، الآية: 11].

فلا خلاص ولا قصاص، وإن كان الشرك في العمل [1] رجي الخلاص»[2].

قال الميلي المالكي: «وأقسام الشـرك، قد استوفتها آية سبأ، قال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾. فجعلت الآية أقسام الشـرك أربعة، ونفتها كلها، ولنضع لكل قسم اسمًا يمتاز به:

الأول:شـرك الاحتياز، فنفي سبحانه أن يكون غيره مالكًا لشيء يستقل به، ولو كان في الحقارة مثقال ذرة في العالم العلوي، أوفي العالم السفلي [3].

---

1 (?) ليس كل شرك في العمل يرجى الخلاص من وباله، إذ أن صرف العبادة لغير الله تعالى هو شرك في العمل، لكنه يقوم على أساس شرك في الاعتقاد، وهذا لا يرجى منه الخلاص، ولعل الشيخ رحمه الله يقصد أمور الشرك الأصغر غير المكفرة: كالحلف بغير الله، أو يسير الرياء وغير ذلك، وبهذا فلا إشكال في المسألة.

2 (?) عارضة الأحوذي (10/106).

3 (?) كما قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ [سورة فاطر]. وكما قال

الثاني: شرك الشـياع، فنفى سـبحانه أن يكون لغيره نصيب يشـاركه فيه كيفما كـان هذا النصيب، في المكان والمكانة [1].

الثالث [2]: شرك الإعانة، فنفى جل شأنه أن يكون له ظهير ومعين من غــير أن يملك

تعالى: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**﴾ [سورة الفرقان، الآية: 3]، وكما قال تعالى: ﴿**وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ**﴾ [سورة النحل، الآية: 73]، وقوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا**﴾ [سورة العنكبوت، الآية: 17].
قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «تيسير الكريم المنان» (4/221) عند الآية (73) من سورة النحل: (يخبر الله تعالى عن جهل المشركين وظلمهم أنهم يعبدون من دونه آلهة اتخذوها شركاء لله، والحال أنهم لا يملكون لهم رزقًا من السموات والأرض، فلا ينزلون مطرًا، ولا رزقًا، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئًا، ولا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض، ولا يستطيعون لو أرادوا، فإن غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع من يتصل به وهؤلاء لا يملكون ولا يقدرون، فهذه صفة آلهتهم كيف جعلوها مع الله وشبهوها بمالك الأرض والسموات، الذي له الملك كله والحمد كله، والقوة كلها) اهـ.

[1] (?) كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ [سورة البقرة، الآية: 165] فلا يوجد مخلوق يشارك الله تعالى في شيء لا في أفعاله، ولا صفاته، ولا حقوقه ولا غير ذلك،وبما أنه المنفرد بالخلق، فإنه

معه، كما يعين أحدنا مالك متاع، على حمله مثلاً.

الرابع (1): شـرك الشـفاعة، فنفى تعـالى أن يوجد من يتقـــدم بين يديه يـــدل بجاهه ليخلص أحدًا بشـفاعته، فهو تعـالى لم يقبل

المتفرد بالملك والأمر والتصريف واستحقاق العبادة، كما قال تعالى: ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأعراف، الآية: 54].

[2] (?) كما قال تعالى: ﴿**وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ**﴾ [سورة سبأ، الآية: 22]، فليس لله تعالى ظهير ولا معين في تصريف ملكه، فإن الملوك المخلوقين هم الذين يستعينون بغيرهم في إدارة شؤون ملكهم لعدم قدرتهم على الانفراد بتدبيره غير أن هذا منتف في حق الله تعالى، بل إن وجود هذا الشيء علامة نقص، وصفته ، والله تعالى متفرد بصفات الكمال،متنزه عن صفات النقص.

[1] (?) كما قال تعالى: ﴿**وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [سورة الأنبياء، الآية: 28]، وقال: ﴿**قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ [سورة الزمر، الآية: 44]، وقال: ﴿**وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سورة سبأ، الآية: 23]، فإن الملوك المخلوقين إنما يقبلون شفاعة الشافعين لحاجتهم إليه في تدبير أمر ملكهم وتصريفه، ولا يحبون ردها خوفًا من فقد ود الشفعاء ومعونتهم لكن الله تعالى مستغن عن الظهير والمعين، متفرد بالخلق والتكوين والتدبير والتصريف، لهذا لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له،أما غير ذلك فلا فالشفاعة إذًا ملك لله تعالى،وهو الآذن فيها، وهكذا نرى أن الآية اشتملت على نفي الشرك بجميع صوره ودرجاته فسبحان الله.

من أقسام الشركة حتى أضـعفها وأخفاهـا، وهي الشـركة بالجـاه في تحصـيل السـلامة والنجـــاة، إلا بعد الإذن للشـــفيع، وتعـــيين المشفوع له، وحينئذ لا تكـون في الشـفاعة رائحة الشـــركة، بل الشـــفاعة كغيرها من وجوه النفع، هي: لله وحده، ولم يخـرج عن الآية شـــيء من أقســـام الشـــركة، لأن الشريك إما في الملـك، وإما في التصـرف. **والأول**: إما أن يختـــار قســـطه، وإما أن يكون على الشياع. **والثـاني**: إما أن يعـني المالـــك، وإما أن يعين أحـــدًا عند المالـــك، فتلك الأقســــــام الأربعة مرتبة ترتيبها في الآية، وتلك الأقسام على ظهورها من الآية، لم أر من أعرب عنها هذا الإعراب.

بعد هــذا البيــان نلحظ أن الشــيخ رحمه الله لم يعـــــرج على الكلام عن شــــــرك الألوهيــــــة، وتوحيد الألوهية هو أصل دين الإسـلام، وهو الـذي وقعت لأجله الخصـومة بين الرسل وأقــوامهم، وهو الــذي به بعثت جميع الرسل كما قــال:﴿**وَمَا أَرْسَـلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا**

إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [سورة الأنبياء، الآية: 25].

وهذا قصور منه رحمه الله تعالى حيث اهتم ببيان الشرك فيما يتعلق بأمر الربوبية، وأهمل الكلام عن الشرك في الألوهية والعبادة، وكان الأولى التركيز عليه حيث إن شرك عامة الأمم في باب الألوهية وليس الربوبية.

المبحث الثالث
سد الذرائع الموصلة إلى الشرك عند علماء المالكية

قبل أن نشرع في بيان الذرائع الموصلة إلى الشرك عند علماء المالكية نبين معنى الذرائع كما هي في كتبهم.

قال الشاطبي: «حقيقة الذرائع التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة »[1].

وقال القرطبي: «الذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع في ممنوع»[2].

وجاء عن الإمام مالك: وبعض أتباعه النهي عن ما هو من وسائل الشرك، كتجصيص القبور [3]، وتعليتها [4]، والكتابة

---

1 (?) الموافقات: (4/198).

2 (?) تفسير القرطبي 2/58.

3 (?) لما أخرجه مسلم وغيره قال: «نهى رسول الله عن تجصيص القبر،وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع المدونة 1/189، كتاب الكافي لابن عبد البر 1/283، وتنوير المقالة 3/40، والثمر الداني 230، وتفسير القرطبي 10/380.

4 (?) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه بناء. ولمعرفة موقف مالك رحمه الله وأتباعه من هذه القضايا

عليها [1]، والبنـاء عليها [2]،واتخاذها مسـاجد [3]، واسـتقبالها للـدعاء [4]، والسـجود عليها [5]،والصلاة عليها [6]، وشد الرحـال إلى غـير المساجد الثلاثة [7].

راجع المدونة 1/189، وتنوير المقالة 3/40، والثمر الداني ص 320، وتفسير القرطبي 10/380-381.

1 (?) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي : «نهى أن تجصص القبور، وأن يكتب عليها» ولمعرفة موقف الإمام مالك رحمه الله وكثير من أتباعه راجع فتح المجيد ص 323.

2 (?) لما أخرجه مسلم عن جابر قال: نهى رسول الله عن تجصيص القبر، وأن يقعد عليه ، وأن يبنى عليه بناء. ولمعرفة موقف مالك وأتباعه راجع المدونة 1/189، المعيار المعرب 1/317، 318، وتنور المقالة 3/39، والثمر الداني 231، وتفسير القرطبي 10/379-380، فتح المجيد ص323، تيسير العزيز الحميد ص 323، 324، والكافي لابن عبد البر 1/283.

3 (?) قال النبي : «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**، يحذر ما صنعوا» متفق عليه،وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد أفلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**» أخرجه مسلم وغيره.

ولمعرفة موقف المالكية في التمهيد 1/168، 5/45، والمنتقى 7/195، تفسير القرطبي 10/380، شرح موطأ مالك للزرقاني 4/233، 12/351، وتيسير العزيز الحميد ص 340، والمنتقى 1/306-307.

4 (?) أخرج مسلم وغيره أن النبي قال: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا عليها**».

قـال القرطـبي: «التمسك بسد الـذرائع وحمايتها هو مـذهب مالك وأصـحابه وأحمد بن حنبل في رواية عنه وقد دل على هـــذا الأصل الكتاب والسنة»[1].

وقال كذلك: «ولهذا بالغ المسـلمون في سد الذريعة في قبر النبي فأعلوا حيطـان تربتــه، وســدوا المــداخل إليهــا،وجعلوها محدقة بقـــبره، ، خـــافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصـورة العبـادة، فبنـوا جـدارين من ركني القبر وحرفوهما حــتى التقيا على

ولمعرفة موقف المالكية راجع لكتاب صيانة الإنسان ص264، وفتح المنان ص 358-359، وتيسير العزيز الحميد ص 358.

5 (?) ولمعرفة موقف المالكية راجع التمهيد 6/383، 1/167، 5/45.

6 (?) أخرج مسلم وغيره أن النبي، قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها**» ولمعرفة موقف المالكية راجع: مقدمة ابن رشد ص174، والتمهيد 1/167، 5/25، 6/283، وتفسير القرطبي 10/379.

7 (?) لقول النبي : «**لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد** ..».

ولمعرفة موقف المالكية ارجع إلى المعلم 12/82، وشرح الزرقاني لمختصر خليل 3/93، وتيسر العزيز الحميد 361، وشرح الزرقاني للموطأ 1/224 - 225.

1 (?) تفسير القرطبي 12/57-58.

زاوية مثلثة من ناحية الشـــمال حـــتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره»[1].

وقــال الإمــام مالــك: «أكــره تجصــيص القبــور والبنــاء عليها وهــذه الحجــارة الــتي يبنى عليها»[2].

وقال ابن أبي شامة: «كان مالك وغــيره من علمـــاء المدينة يكرهـــون إتيـــان تلك المســاجد وتلك الآثــار في المدينة ما عــدا قباء وأحد»[3].

وقال ابن عبد الباقي في شرح الموطــأ: «روى أشـهب عن مالك أنه كـره لـذلك أن يــدفن في المســجد قــال: « وإذا منع من ذلك فســائر آثــاره أحــرى بــذلك وقد كــره مالك طلب موضع شــجرة بيعة الرضـــوان مخالفة لليهود والنصارى»[4].

---

1 (?) قرة عيون الموحدين ص 136.

2 (?) المدونة 1/189.

3 (?) الباعث على إنكار البدع والحوادث ص 96- 97،وكتاب ابن وضاح رقم 113.

4 (?) تيسير العزيز الحميد ص 340.

وقال القرطبي: «وقال علماؤنا وهذا يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد»[5].

وقال ابن رشد: «إن فات- يعني صلاة الجنازة - لم يصل عليه لئلا يكون ذريعة الصلاة على القبور وهو مذهب أشهب وسحنون»[2].

وقال ابن رشد كذلك: «كره مالك البناء على القبر وجعل البلاطة المكتوبة»[3].

قال القرطبي: في شرح حديث النبي : «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها»، أي لا تتخذوها قبلة، فتصلوا عليها أو إليها كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذر النبي عن مثل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك [4].

---

5 (?) تفسير القرطبي 10/380.

2 (?) مقدمة ابن رشد ص 174.

3 (?) فتح المجيد ص 323، ولعله يقصد ما يسمى اليوم بشاهد القبر وهو رخام يكتب عليه اسم الميت وتاريخ وفاته وغير ذلك. والله أعلم.

4 (?) تفسير القرطبي (10/380).

إلى أن قـال: «وأما تعلية البنـاء الكثـير على نحو ما كان في الجاهلية تفعله تفخيمًا وتعظيمًـا، فـذلك يهـدم ويـزال، فـإن فيه استعمال زينة الدنيا في أول منـازل الآخـرة وتشبهًا بمن كان يعظم القبور ويعبدها»[1].

وقـال الإمـام مالـك: «لا أرى» أن يقف عند قـبر النـبي، ، يـدعو ولكن يسـلم ويمضـي. ذكـره إسـماعيل بن إسـحاق في المبسوط، وإسـناده صـحيح كما في صـيانة الإنسان [2].

وقال أيضًا في المبسوط: «لا بـأس لمن قـدم من سـفر أو خـرج أن يقف على قـبر النبي، ،ويدعو له ولأبي بكر وعمر».

قيل لــه: فــإن ناسًــا من أهل المدينة لا يقدمون من سـفر ولا يريدونه يفعلـون ذلك في اليـوم مـرة أو أكـثر وربما وقفـوا في الجمعة أو في الأيـام المـرة أو المـرتين أو أكثر عند القبر، فيسـلمون ويـدعون سـاعة، فقــال: لم يبلغــني هــذا عن أحد من أهل الفقه ببلــدنا وتركه واســع، ولا يصــلح آخر

---

1 (?) تفسير القرطبي (10/381).

2 (?) ص 264 فتح المنان ص 358.

هــذه الأمة إلى ما أصــلح أولها ولم يبلغــني عن أول هـــذه الأمة وصــــدرها أنهم كـــانوا يفعلون ذلك،ويكره إلا لمن جـاء من سـفر أو أراده [1].

وأما الحكاية التي ذكرها القاضي عيــاض عن محمد بن حميد قـال: «نـاظر أبو جعفر المنصـور أمين المؤمـنين مالكًا في مسـجد رســول اللــه، ، قــال له مالــك: يا أمــير المؤمنين لا ترفع صوتك في هـذا المسـجد، فـــإن الله تعـــالى أدب قومًا وقـــال: **لَا تَرْفَعُـــوا أَصْـــوَاتَكُمْ فَـــوْقَ صَـــوْتِ النَّبِيِّ**[2].

ثم قال: «فهـذه الحكاية على هـذا الوجه إما أن تكون ضعيفة أو محرفة»[3].

أما الحكاية الــتي رواها القاضي عيــاض بإسـناده عن مالك في قصـته مع المنصـور وأنه قــال لمالــك: يا أبا عبد الله أســتقبل القبلة وادعـوا، أم أسـتقبل رسـول الله ؟ قال: ولم تصرف وجهك عنـه، وهو وسـيلتك

---

1 (?) فتح المنان ص 358.

2 (?) سورة الحجرات، الآية: 2.

3 (?) انظر: صيانة الإنسان ص 255، وفتح المنان ص 359.

ووســيلة أبيك آدم إلى الله يــوم القيامة بل استقبله، واستشفع به يشفعه الله فيك [1].

قــال صــاحب تيســير العزيز الحميــد: «فهذه الرواية ضعيفة أو موضــوعة لأن في إسنادها من يتهم محمد بن حميد»[2].

* وأما ما روى ابن زبالة وهو في أخبـــار المدينة عن عمر بن هــارون عن ســلمة بن وردان وهما ســاقطان قــال: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي، ، ثم يســند ظهــره إلى جـــدار القـــبر ثم يـــدعو[3] فـــالرجلان ساقطان كما في تيسير العزيز الحميد.

وأما الحكاية في تلاوة مالك هــذه الآيــة: ﴿**وَلَـوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُـوا أَنْفُسَـهُمْ**﴾[4] فهو والله أعلم باطل، فإن هــذه لم يــذكرها أحد من الأمة فيما أعلم، ولم يـــذكر لأحد منهم أنه اســـتحب أن يســـأل بعد المـــوت لا اســـتغفارًا ولا غـــيره، وكلامه المنصـــوص

---

1 (?) تيسير العزيز الحميد ص358.

2 (?) تيسير العزيز الحميد ص358.

3 (?) تيسير العزيز الحميد ص 359.

4 (?) سورة النساء، الآية: 64.

وأمثاله ينافي هذا، قال صاحب فتح المنان [1].

وقال القرطبي: «وأما السنة فأحاديث كثيرة ثابتة صحيحة منها حديث عائشة - رضي الله عنها - أن أم حبيبة وأم سلمة - رضي الله عنهن - ذكرتا كنيسة رأياها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك لرسول الله، ، فقال رسول الله : «**إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح، فما بنوا على قبره مسجدًا، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله**» أخرجه [2] البخاري ومسلم.

قال علماؤنا: ففعل ذلك أوائلهم ليتأسوا برؤية تلك الصور، ويتذكروا أحوالهم الصالحة، فيجتهدون كاجتهادهم، ويعبدون الله - عز وجل - عند قبورهم، فمضت لهم بذلك أزمان، ثم أنهم خلف من بعدهم خلوف جهلوا أغراضهم ووسوس لهم

1 (?) ص 360.

2 (?) أخرجه البخاري (3/247) ح 1341، في الجنائز باب بناء المسجد على القبر ومسلم (1/375) ح (528) في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها.

الشيطان أن آباءكم وأجدادكم كانوا يعبدون هذه الصـورة فعبـدوها، فحـذر النـبي عن مثل ذلــك،وشــدد النكــير والوعيد على من فعل ذلك [1].

وقال ابن الحـاج في المـدخل: «لا يجـوز الطـواف حـول الأضـرحة فإنه لا يطـاف إلا بــالبيت العــتيق وكــذا لم يشـــرع التقبيل والاستلام إلا بالبيت العتيق وكـذا لم يشــرع التقبيل والاستلام إلا للحجر الأسود»[2].

وقــال الطرطوشـــي: «وروى محمد بن وضاح أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أمر بقطع الشجرة الـتي بويع تحتها النـبي لأن النــاس كـانوا يـذهبون تحتها فخـاف عمر الفتنة عليهم...

قــال: وكــان مالك وغــيره من علمــاء المدينة يكرهـون إتيـان تلك المسـاجد وتلك الآثار التي بالمدينة ما عدا قباء وأحد»[3].

وقـــال الطرطوشـــي: «قـــال عمر بن الخطاب إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا

---

1 (?) تفسير القرطبي 2/58.

2 (?) المدخل كما في المشاهدات المعصومية ص 73.

3 (?) كتاب الحوادث والبدع 294-295.

كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخـذونها كنـائس وبيعًا فمن أدركته الصـــلاة منكم في هـــذه المساجد فليصل ومن لم تدركه فليمض ولا يتعمدها»[1].

1 (?) كتاب الحوادث والبدع 308-309.

المبحث الرابع
نماذج من الشرك التي حذر منها علماء المالكية

جاء عن الإمام مالك وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر ودعاء غير الله [1] والاستغاثة بغـير الله [2]، والنـذر

1 (?) لقوله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [سورة غافر، الآية:60]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ**﴾ [سورة الأحقاف، الآية: 5]. وقول النبي ﷺ: «**إن الدعاء هو العبادة**» وللمزيد من التعرف على أقوال المالكية انظر: رسالة الشرك الميلي (ص 192). التحرير والتنوير 24/181، 26/11.

2 (?) قال تعالى: ﴿**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ**﴾ [سورة الأنفال، الآية: 9]، وقال: ﴿**وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ** ...﴾ [سورة الأحقاف، الآية: 17]، التحرير والتنوير 9/274-275 /26 -39.

لغـير الله [1]، والـذبح لغـير الله [2]، واعتقـاد أن الأوليـاء لهم تصـرف في الكـون مع الله [3]، أو اعتقــاد أن أحــدًا يعلم الغيب [4]، أو الحلف بغير الله [5]، أو اعتقـاد أن للكـواكب

1 (?) وقال تعالى: ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ [سورة الحج: الآية: 29]، فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى، التحرير والتنوير 17/248، وانظر تيسير العزيز الحميد ص (207)، رسالة الشرك للميلي ص(268)، ولا يجوز النذر لولي أو نبي أو غيرهما، وإلا فإن هذا شرك لأنه صرف للعبادة لغير الله تعالى، لا كما يفعله كثير من الجهال بالنذر لقبر البدوي أو الحسين، أو الجيلاني أو غيرهم، فإن هذا شرك بالله تعالى ولا يسوغ أي تأويل لذلك الفعل أو محاولة التلاعب باللفظ والقول بأن « النذر لله والثواب للولي» فهذا كلام باطل لا يستجيزه عقل صريح.

2 (?) لقوله تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [سورة الكوثر، الآية: 2]. وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [سورة الأنعام، الآية: 162]، فالذبح عبادة لا تنبغي إلا لله وعلى اسم الله، ولا يجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه.

وانظر: مختصر خليل (3/130)، وتفسير القرطبي (2/224) التحرير والتنوير (30/574).

3 (?) وهذا شرك في الربوبية وقد نفى الله تعالى كل أنواع التصرف لغيره بقوله: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سورة سبأ، الآيتان 22، 23]. وقد سبق الكلام على هذه الآية

تأثيرًا في إنزال المطر [1] والتوكل على غير الله [2].

قـــال ابن العـــربي: «مقامـــات الغيب الخمسة الـــتي لا يعلمها إلا الله لا أمـــارة عليها ولا علامة عليها إلا ما أخبر به الصادق المجتبى لاطلاع الغيب من أمارات الساعة، والأربع سواها لا أمارة عليها، فكل من قال:

بالتفصيل في المبحث الثاني. وانظر: شرح الموطأ للزرقاني (1/347) وشرح الموطأ للباجي (1/334)، والتحرير والتنوير (22/185-191).

4 (?) لقوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾ [سورة الجن، الآية: 26]، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [سورة النمل، الآية: 65].

وانظر أحكام القرآن لابن العربي (2/738، 739) وتفسير القرطبي 1/290،ورسالة الشرك للميلي (ص137).

5 (?) لقوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وفي لفظ: «**فقد كفر**» وانظر التمهيد (14/366: 367) وتفسير القرطبي (10/40) وشرح الصغير للدرديري (2/203) وتفسير القرطبي (10/40) و (6/270: 271) والمقدمات لابن رشد (308: 309) وشرح رزق على متن الرسالة (2/15) والمعلم (2/240) شرح الزرقاني على مختصر خليل 3/53، كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي 1/448.

1 (?) المنتقى شرح موطأ مالك 1/334، وشرح الزرقاني لموطأ مالك.

2 (?) لقوله تعالى: ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ [سورة الأنفال، الآية: 2] انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور 9/259.

إنه يـنزل الغيث غـدًا فهو كـافر، أخـبر عنه بأمـــارات ادعاها أو بقـــول مطلـــق، ومن قال:إنه يعلم ما في الرحم، فهو كافر...

وأما من ادعى علم الكسب في مســتقبل العمر فهو كــافر، أو أخـــبر عن الكوائن الجملية أو المفصلة فيما يكون قبل أن يكون ، فلا ريبة في كفره أيضًا، فأما من أخبر عن كسوف الشمس والقمر فقد قـال علماؤنا: يؤدب ويسـجن، ولا يكفر أما عـدم تكفـيره فلأن جماعة قـالوا: إنه أمر يـدرك بالحساب، وتقـدير المنـازل حسب ما أخـبر الله سـبحانه في قوله جل وعلا: ﴿**وَالْقَمَـرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ**﴾[1]، لحسابهم له،وإخبـارهم عنه وصدقهم فيه توقف علماؤنا عن الحكم بتكفيرهم، وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة في تعليق العلم بـــــــــالغيب فتتشـــوش عقائــدهم في الــدين وتــتزلزل قواعـدهم في اليقين، فـأدبوا حـتى يسـروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا»[2].

---

1 (?) سورة يس، الآية: 39.

2 (?) أحكام القرآن 2/738-739.

وقال ابن عبد البر: (لا يجوز الحلف بغـير الله - عز وجل - في شيء من الأشـياء، ولا على حـال من الأحـوال، وهـذا أمر مجمع عليه وقد روى سـعيد بن عبيـدة عن ابن عمر فيه حديثًا شديدًا أنه سمع رسـول الله يقـول: «**من حلف بغـير الله فقد أشرك**» ذكره أبو داود [1] وغيره.

وروى محمد بن سـيرين عن أبي هريـرة قـال: قـال رسـول الله : «**لا تحلفـوا بآبائكم،ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا باللـه،ولا تحلفـوا بالله إلا وأنتم صادقون**»[2] ..)[3].

---

1 (?) أحمد 2/34-125، والترمذي 4/110، ح 1535، في النذور والأيمان، وأبو داود 3/570، ح 3251، في الأيمان، باب في كراهية الحلف بالآباء، وابن حبان6/278، والحاكم 4/297، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال الترمذي حديث حسن جميعهم ن طريق سعد بن عبيدة عن ابن عمر مرفوعًا وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير 2/11167 ح 6204.

2 (?) أخرجه أبو داود 3/569 ح 3248، في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء من رواية محمد بن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا.

3 (?) التمهيد لابن عبد البر 14/366-367.

وقال ابن رشد: «والمحظـورة أن يحلف باللات، والعزى، والطواغيت، أو بشـيء مما يعبد من دون الله تعـــــــــالى لأن الحلف بالشيء تعظيم لـه،والتعظيم لهـذه الأشـياء كفر بالله تعالى»[1].

وقال القرطـبي في تفسـيره لقـول الله تعالى: ﴿**وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ**﴾[2] أي ذكر عليه غـــير اسم الله تعـــالى، وهي ذبيحة المجوسي والوثني والمعطل فـالوثني يـذبح للـوثن،والمجوسي للنـار،و المعطل لا يعتقد شـيئًا فيـذبح لنفسـه، ولا خلاف بين العلمـاء أن ما ذبح المجوسي لناره،والوثـني لوثنه لا يؤكل ... ومنه إهلال الصــــبي واســــتهلاله وصــياحه عند ولادتــه، وقــال ابن عبــاس وغـيره:المـراد ما ذبح للأنصـاب والأوثـان .. وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحـة، وغلب ذلك في اسـتعمالهم حـتى عبر عن النية التي هي علة التحريم ألا ترى أن علي بن أبي طـــــــالب رضي الله عنه راعى النية في الإبل الـتي نحرها غـالب أبو

---

1 (?) مقدمات ابن رشد ص 309.

2 (?) سورة البقرة، الآية: 173.

الفــرزدق فقــال:إنها مما أهل لغــير الله به فتركها النـاس، قـال ابن عطيـة:ورأيت في أخبار الحسن بن أبي الحسن أنه ســئل عن مرأة صنعت للُعَبِهَا عرسًا، فنحـرت جـزورًا، فقال الحسن: لا يحل أكلها فإنها إنما نحرت لصنم [1].

جاء في المدونة كما في شرح الزرقـاني لمختصر خليـل: «سـوق الهـدايا لغـير مكة ضلال»[2].

وقــال الميلي: «دعــاء غــير الله ... فهو شـــرك صـــريح وكفر قـــبيح، وله نوعـــان: أحدهما غير الله مع اللـه، كالـذي يقـول : يا ربي، ويا شــــيخي، يا ربي وجـــــدي، ياالله وناسه، ياالله وسيدي عبد القـادر، وسـمعت كثـيرًا يحكـون أنهم كثـيرًا مايسـمعون فلانًا يقــــول: يــــاربي يا ســــيدي يوسف اغفر لي،ويوسف هـــذا من أولاد ابن الـــدرويش أحـــدى فصـــائل أولاد العبـــاد ... وإطلاق الشرك على هـذا النـوع واضح لأن الـداعي عطف غـــير الله على الله بـــالواو ثابتة أو

---

1 (?) تفسير القرطبي 2/223- 224.
2 (?) شرح مختصر خليل للزرقاني 3/130.

محذوفة، وهي تقضي مشاركة ما بعدها في الحكم، والحكم المشترك فيه هنا هو عبـادة الدعاء.

النوع الثاني: دعاء غير الله من دون الله كالــذي يقــول:يا رجــال الدالــة، يا دوان الصالحين، وإطلاق الشرك على هـذا النـوع باعتبـــــار أن الـــــداعي وإن اقتصر على المخلـوق في اللفظ لم ينكر الله ولم يــبرأ منه في العقد فكـــــــــأن الله في كلامه مضمر»[1].

وقــــال القاضي أبو بكر بن العــــربي المــالكي: «قد نهي عن النــذر، ونــدب إلى الدعاء، ويظهر به التوجه إلى الله - تعالى - والتضـرع لـه،وهـذا بخلاف النـذر، فـإن فيه تــأخير العبــادة إلى حين الحصــول،وتــرك العمل إلى حين الضرورة»[2].

قال ابن عبد البر:«يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء والصـالحين مساجد»[3].

---

1 (?) رسالة الشرك ص 192.

2 (?) تيسير العزيز الحميد ص 207.

3 (?) التمهيد 1/168.

وقال ابن عبد البر: «الوثن: الصـنم، وهو الصورة من ذهب كان، أو من فضة، أو غـير ذلك من التمثال، وكل ما يعبد من دون الله فهو وثن صـنمًا كـان أو غـير صـنم، وكـانت العرب تصلي إلى الأصـنام وتعبـدها فخشي رسول الله، ، على أمته أن تصنع كما صنع بعض من مضى من الأمم: كـانوا إذا مـات لهم نبي عكفوا حول قبره كما يصنع بالصنم فقـال : «**اللهم لا تجعل قـبري وثنًا**» يصلى إليه، ويسجد نحوه، ويعبد، فقد اشـتد غضب الله على من فعل ذلك، وكان رسول الله يحـذر أصـحابه، وسـائر أمته الـذين صـلوا إلى قبـور أنبيـائهم واتخـذوها قبلة ومسـجدًا كما صـنعت الوثنية بالأوثـان الـتي كانوا يسـجدون إليهـا، وذلك الشـرك الأكـبر فكـان النـبي ، يخـبرهم بما في ذلك من سخط الله وغضبه وأنها ممالا يرضاه خشية عليهم امتثال طرقهم »[1].

وقال الميلي: «مسـاواة هـذه الأمة لمن قبلها في حكم السنن الإلهية:

---

1 (?) التمهيد 5/45.

إن ما وقع فيه العـــــرب ومن قبلهم يقع فيه غيرهم بعدهم إذا ما جهلوا مثلهم أصول الدين، وبالغوا في التبرك بالصـالحين، فـإن الله يقول:﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾ وعلماء الاجتمـاع يقولـون: "التـاريخ يعيد نفســه". والمتكلمون يحكمـون بـأن: "ما جـرى على المثل يجري على المماثل" فإذاكان مجموع المسـلمين قد انتهـوا في الـدين إلى جهالة المشـركين، فمحاولة تـبرئتهم من الشــرك غش وتضليل وجحد للشريعة وتعطيل.

صور من الوثنية الحاضرة:

ألست ترى في أوساطهم قبابًا تبذل في شيدها الأمـوال، وتشد لزيارتها الرحـال، أم لست تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغـائبين والأمـوات ؟ أم لم تعلم بـدور تنعت بدار الضمان تستري ضمانتها بالأثمان ؟ أملم تجتمع بذرية نسب للمـــــــرابطين إعطاؤها بقـــوة غيبية . أم لم تتكـــرر عليك منـاظر مكلفين إبـاحيين يقدسـون صـفتهم مـرابطين أو طرقـيين هـذا إلى اجتماعـات تنتهك فيها كل الحرمات باسم الـزردات، أو

تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضـاع مبتدعة صـدَّت النـاس عن اتبـاع السـنة المطهرة، والخبير بحياة أهل عصره العـالم بأصـول دينه لا يـتردد في ظهـور الشـرك وانتشاره،وتعدد مظاهره وآثاره »[1].

وقال: وإذا قيل للناس أن هؤلاء الضرائح والمزارات من الأوثـان، قـالوا إنكم تسـبون الصـالحين! يا إخواننا افهمـوا لغة العـرب والدين تجدوا أن ذلك ليس من الطعن على الأوليـاء، فـإن كل ما نصب ليعبد من دون الله فهو وثن أو صـنم، وكل من عبـده فهو هالك، وليس كل معبود من دون الله هالكًا، قال تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَـبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَـانَ هَـؤُلَاءِ آَلِهَـةً مَا وَرَدُوهَا وَكُـلٌّ فِيهَا خَالِـدُونَ * لَهُمْ فِيهَا زَفِـيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْـمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَـبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ**﴾ فتلك المزارات والضرائح من الأوثـان وإن كانت منسوبة إلى ولي صالح.

تعيين مكان في النذر:

[1] (?) رسالة الشرك للميلي 108.

وتلك الاجتماعات عليها للزردات هي من أعيـاد الجاهليـة، فلو فرضـنا أحـدًا نـذر لها شيئًا فهو عاص بالوفـاء به فـإن أضـاف إليه التقرب من صاحبها فهو مشرك.

وقد أصبح الناس في جاهليتهم الحاضـرة ينـــذرون لمن يعتقـــدون فيه من الأحيـــاء والأمــوات والمــزارات، الأمــوال والثيــاب والحيوانــات والشــموع والبخــور والأطعمة وســائر المتمــولات، ويعتقــدون أن نــذرهم ســبب يقــربهم من رضى المنــذور له وأن لذلك المنذور له دخلاً في حصول غرضـهم، فـــإن حصل مطلـــوبهم ازدادوا تعلقًا بمن نــذروا له واشــتدت خشــيتهم منــه، وبــذلوا أقصى طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التــأخير كما استساغته جاهلية العرب في تعــويض الغنم بالظباء. فالعرب مع أصـنامهم أقل هيبة من هــؤلاء مع أوليــائهم، وإن تســاوى الفريقــان في حق من ألهوه أكثر من اعتبــار حق الإله الحق، ذلك أن جاهليتنا على شــدة اهتمامها بحق أوليائها منها من لا يبـــــــالي مع ذلك بالصـلاة أو بالزكـاة أو بهما معًـا،ومن صـلى وزكى لا ينكر على تاركهما ما ينكـــره على من تراخى في زيارة شيخ طريقة، أو إقامة زردة أو أداء وعدة، وكذلك ما حكاه القــرآن

عن العرب في آياته: ﴿**وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ**﴾[1] ...)[2].

وقال: «إن الرزية كل الرزية، والبلية كل البليـــــة، أمر غـــــير ما ذكرنا من التوسل المجـرد، والتشـفع بمن له الشـفاعة، وذلك ما صـــار يعتقـــده كثـــير من العـــوام وبعض الخـواص في أهل القبـور وفي المعـروفين بالصلاح من الأحيـاء من أنهم يقـدرون على مالا يقدر عليه إلا الله، جل جلاله، ويفعلـون ما لا يفعله إلا الله عز وجــل، حـتى نطقت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم ، فصــاروا يـــدعونهم تـــارة مع الله وتـــارة اســـتقلالاً، ويصـرخون بأسـمائهم، ويعظمـونهم تعظيم من يملك الضر والنفـــع، ويخضـــعون لهم خضوعًا زائـدًا على خضـوعهم عند وقـوفهم بين يدي ربهم في الصلاة والدعاء»[3].

وقال: «وقد يعبرون عن هذا الضرب من التـــبرك بالاســـتمداد من أرواح الصـــالحين، ويعتقـــــدون أنهم أحيـــــاء في قبـــــورهم، يتصـــرفون في العـــالم، ويقضـــون حاجـــات قاصـديهم، ويسـتدل مسـتدلهم بما ورد في حيـاة الأرواح مما قـدمنا أصـحه وأصـرحه،

---

[1] (?) سورة الأنعام، الآية: 100.

[2] (?) رسالة الشرك للميلي ص 268.

[3] (?) رسالة الشرك للميلي ص 268.

فيتخـذون المـزارات يبنـون عليها البنـاءات ويرون أن روح الصالح فلان هنالـك، إما لأنه دفن هنالك أو جلس بـــه، بل تجد بنـــاءات كثـيرة على مـزارات عديـدة كلها منسـوبة للشـيخ عبد القـادر الجيلاني دفين بغـداد - رحمه الله - وهو لم يعــرف تلك الأمكنة ولا سمع بها، وهـذه المـزارات الجيلانية تجـدها غـربي وطن الجزائر أكـثر منها في شـرقه، أما أن يكـون للصـالح الواحد قـبران فهـذا نعرفه لغير الصالح وأشهرهم بوطننا الشـيخ محمد بن عبد الـــــرحمن مؤسس الطريقة الرحمانية بمغربنا. ومن مظاهر هذا التـبرك الاســـــتمدادي تقبيل الجـــــدران والمسح بالحيطـــــان وكل ما يضـــــاف على ذلك المكان»[1].

وقـــال: «نهى الرســـول عن الحلف بالمخلوق فـأبى أكـثر النـاس إلا الحلف بـه، وأغلط في النهي حـتى بلغ به نهي الشـرك والكفر فـأجروا هـذه اليمين على ألسـنتهم أكـثر من اليمين باللـه. وأمر من حلف بالله أن يصـــدق. فتلاعبـــوا بـــاليمين الشـــرعية واحترموا اليمين الشركية»[2].

---

1 (?) رسالة الشرك للميلي ص 244.

2 (?) رسالة الشرك للميلي ص 277.

وقال ابن عاشـور عن خطـورة الشـرك: «أكبر الاعتداء إذ هو اعتداء على المسـتحق المطلق العظيم؛ لأن من حقه أن يفـــــرد بالعبادة اعتقادًا وعملاً وقــولاً لأن ذلك حقه على مخلوقاتــه، ففي الحــديث: «**حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شـيئًا**»[1]، إلى أن قـال: وذلك أن الشـرك جمع بـني الاعـتراف لله بالإلهية والاعـتراف لغـيره بالربوبية أيضًـا ولما كـان الاعـتراف لغـــيره ظلمًا كـــان إيمـــانهم بالله مخلوطًا بظلم»[2].

---

1 (?) أخرجه البخاري كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله 13/347، ح(7373) من حديث معاذ بن جبل.

2 (?) التحرير والتنوير 7/332-333.

الخاتمة

الحمد لله الـذي يسر وأعـان على إتمـام هذا الكتـاب، فله وحـده المنة والفضـل،وقد توصلت إلى نتائج أجملها فيما يلي:

أولاً: أن كلام المتقـــــــــــدمين كمالك وأصـــــحابه الأوائل عن الشــــرك وأنواعه ووسائله قليل، لأن بدع القبورية لم تكن قد انتشرت بعد، وإنما كانوا يتكلمون في بعض هـــذه المســـائل عرضًـــا إذا وردت في النصـــوص بخلاف ما عليه المتـــأخرون من المالكية فقد بســـــطوا القـــــول في تلك المســـائل كما هو ظـــاهر من النمـــاذج المتقدمة من نصوصهم.

ثانيًا: أن للعلماء جهودًا مشكورة لحماية جنـاب التوحيـد، ومحاربة البـدع القبوريـة، وسد ذرائع الشرك ومنافذه.

ثالثًا: أن البـــدع القبورية قد أفســـدت عقائد كثير من الناس وأوقعتهم في الشرك الأكبر.

رابعًا: أن الشـــارع احتـــاط فسد كل وسـيلة تـؤدِّي إلى الشـرك، فحـرَّم كل ما

يحـدث عند القبـور مما من شـأنه أن يفسد عقائد الناس.

خامسًـــــا: أن الشـــــرك إذلال وإهانة للإنسان، لأنه تعبيد الإنسان لمخلوق ضعيف مثلـــه،كما أنه يفتح بابًا واســعًا للأســاطير والخرافات.

وفي الختــام فهــذا جهد المقــل، وقــوى الإنسان محدود قاصرة، ورجائي من القارئ الكريم التماس العذر في كل نقص وهفوة، وأسال الله أن لا يجعل هـذا العمل خالصًــا لوجهه الكريم وأن يوفقنا جميعًا لهدي كتابه والسير على سنة رسوله .

والله من رواء القصد وهو حســـبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس